إخراجُ زَكَــاةِ الـمَالِ أهمّ الأسباب لصَلاح الحـَالِ وَالـمَآلِ ونـجَاح الأعمَالِ

2023-08-11

الحمد لله البرّ الكريم الجواد، الهادي بمنّه وكرمه إلى سبيل الرشاد، والموَفِّق بفضله إلى طريقِ السداد، القائل في سورة الليل: ((فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ)). فسبحانه من إله جعل الزكاة ركنا من أركان الإسلام، وأوجبها في مال الأغنياء طُهرة لهم من البخل والشح والآثام، وتزكية للنفوس وتخفيفا للآلام، ومواساة لذوي الحاجة من الفقراء والأرامل والأيتام، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، ذو الطَّولِ وَالإِنْعَامِ، دَعَا عِبَادَهُ لأَدَاءِ زَكَاةِ المَالِ، وشَرَعَ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهِ التَّعَاضُدُ وَالتَّكَافُلُ وَالوِئَامُ، أنّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. أَنْشَأَ مُجْتَمَعًا عَلَى عَظِيمِ الخِصَالِ، فَكَانَ أُنْمُوذَجًا لِلتَّآخِي عَلَى مَرِّ الأَزْمَانِ،

يا أمّة المصطفى يا أشرف الأُممِ * هذا نبيّكُمُ المخصوصُ بالكرمِ

هو الرؤوف الرحيم الطاهرُ الشِّيَمِ * إن شِئتُمُ أن تنالوا رِفْعةً وغِنًى

صلّوا عليه لعلّ اللهَ يرحمُنا

اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمد. أُسوة الفقراء في القناعة بالقُوت المحدود، وقُدوة الأغنياء في السّخاء والجُود، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم إبتغاء رضوان الواحد المعبود، صلاة تبلّغنا بها غاية المنى والمقصود. وننال ببركتها شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في اليوم الموعود. ونُسقى بها من حوضه المورود. شربة لا نظمأ بعدها أبدا. بفضلك وكرمك يا برّ يا ودود. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنَّ مَنِ أَجَلِّ فَرَائِضَ اللهِ تَعَالَى فَرِيضَةُ الزَّكَاةِ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في سورة التوبة: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ

عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)). فَقَدْ بَيَّنَتِ الآيَتَانِ الكَرِيمَتَانِ مَا لِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ مِنْ أَثَرٍ إِيجَابِيٍّ عَلَى الغَنِيِّ؛ فَهِيَ تَجْمَعُ مَا بَيْنَ التَّخَلِّي عَنِ الصِّفَاتِ المَذْمُومَةِ كَالشُّحِّ وَالبُخْلِ وَالأَثَرَةِ، فِيمَا يَتَضَمَّنُهُ مَعْنَى: (تُطَهِّرُهُمْ)، وَتَجْمَعُ مَا بَيْنَ التَّحَلِّي بِالصِّفَاتِ المَحْمُودَةِ كَالجُودِ وَالكَرَمِ وَالإِيثَارِ مِمَّا يَتَضَمَّنُهُ مَعْنَى: (تُزَكِّيهِمْ)، وَهِيَ مُفْضِيَةٌ إِلَى تَوْبَةِ اللهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ بِالمُزَكِّي، فَيُعَجِّلُ لَهُ تَعَالَى مِنْ ثَوَابِهِ المُعَجَّلِ بَرَكَةً فِي مَالِهِ، وَسَعَةً فِي رِزْقِهِ، فَضْلًا عَمَّا ادَّخَرَ لَهُ مِنْ ثَوَابٍ مُؤَجَّلٍ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ. وَهَذِهِ الثِّمَارُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي اسْتَحَقَّهَا مُخْرِجُ الزَّكَاةِ هِيَ عَائِدَةٌ لِمَا لِلزَّكَاةِ مِنْ مَنَافِعَ خَاصَّةٍ وَعَامَّةٍ عَلَى الأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ. بَلْ عَلَى الأُمَّةِ بِأَسْرِهَا، فَتُسْهِمُ فِي الجَانِبِ الاجْتِمَاعِيِّ مِنْ خِلالِ مَا تُوَفِّرُهُ مِنْ تَكَافُلٍ، وَتَعَاضُدٍ، وَتَعَاوُنٍ، فَتَشِيعُ الأُلْفَةُ بَيْنَ أَفْرَادِ المُجْتَمَعِ، نَتِيجَةَ تَوْفِيرِ المُسْتَلْزَمَاتِ الضَّرُورِيَّةِ لِلْمُحْتَاجِينَ، وَرَفْعِ العَوَزِ عَنِ الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْعُرُوا بِتَفَضُّلِ الأَغْنِيَاءِ عَلَيْهِمْ، إِذْ هُوَ فَضْلُ اللهِ، فَرَضَهُ حَقًّا لَهُمْ فِي مَالِهِ الَّذِي جَعَلَ الأَغْنِيَاءَ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ. كما قال سبحانه في سورة النور: ((وَآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّهِ الَّذِي آتاكُمْ))، أيّها المسلمون. إنّ الله عزَّ وجلَّ وضع لنا في كتابه العزيز، الذي قال عنه كما في سورة الأنعام: ((مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ)). وضع لنا علاجاً لمشكلة الفقر، وعلاجاً لمشكلة الأحقاد والأحساد والبغضاء التي استقرت في القلوب، وعلاجاً لمشكلة الأمن والأمان الذي ترتعب منه القلوب، جعل ذلك في أمرٍ واحد، قال فيه لنبيّه الكريم صلى الله عليه وسلم كما في سورة التوبة: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا)). فرض الله على المسلمين فريضة الزكاة، التي هي حقٌّ لله جلَّ جلاله. هذه الزكاة تطهِّر أوّلاً قلب المزكّي وهو الغني من مرض الشُّح، ومرض البخل، ومرض الأنانية، ومرض الأثْرة، ليكون عبداً يحبّه الله، فقد قال صلى الله عليه وسلم في شأن المؤمنين بالله. كما في الصحيحين: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)). وتعالج الزكاة مرض الحقد والحسد عند الفقير، لأنه يعلم أنّ له حقّاً رتّبه له العليُّ

القدير في مال الغني، ثم الزكاة تزكّي هذا المال، فتكون كشركة تأمين عقدها ربُّ العالمين مع المزكّين والمتصدّقين ضدّ الحريق، وضدّ الغرق، وضدّ الآفات، وضدّ كل العثرات، ما داموا أخرجوا النسبة التي طالبهم بها رب الأرض والسماوات. ولذلك حذّر نبيُّنا الكريم صلى الله عليه وسلم مَن لم يخرجها. فقد روى الطبراني عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلا ابْتَلاهُمُ اللَّهُ بِالسِّنِينَ)). فإذا أخرجوها فقد عملوا بقول الحبيب صلى الله عليه وسلم. كما في الطبراني وأبو نُعيم والعسكري والقضاعي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوَوْا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعَاءَ)). أيّها المسلمون. إنّ عقوبة مَنْع الزكاة تتمثّل في أمرَيْن: سوء المعيشة في الدنيا. وسوء العذاب في الآخرة. أمّا سوء المعيشة في الدنيا التي تنزل على مجتمع لا يُخرِج أغنياؤه زكاة أموالهم. فاستمعوا للنبي صلى الله عليه وسلم يبيّن ذلك إذ يقول فيما روى ابن خزيمة والحاكم وصحّحه: ((إِذَا أَدَّيْتَ زَكَاةَ مَالِكَ فَقَدْ أَذْهَبْتَ عَنْكَ شَرَّهُ)). والحديث يدلّ بمفهومه، على أنّ المال بدون الزكاة كلّه شر ونِقمة ووبال على صاحبه، لا يَجني منه إلا التعاسة النفسية والمادية في الدنيا، ومن تلك التعاسة جفاء القلوب، وجفاف الأمطار، والأخذ بالسنين، والأزمات الاقتصادية، وانتشار الفقر المدقَع، ونزْع البركة من المال والبنين، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجه وغيره: ((وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ. وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا)). وروى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا، وَلَكِنْ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا، وَتُمْطَرُوا، وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا)). ويقول صلى الله عليه وسلم فيما روى الطبراني بسند رجاله ثقات: ((مَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلا ابْتَلاهُمُ اللَّهُ بِالسِّنِينَ)). ذلكم هو شر المال في الدنيا إذا لم تُخْرَج زكاتُه، إنه الأخذ بالسنين، والأزمات

الاقتصادية الخانقة، والقحط والجفاف، والفقر والجوع. والحروب الطاحنة. أيّها المسلمون. أمّا شرّه في الآخرة فشيء تقشعرّ منه الجلود، وتتفتّت لذِكره القلوب، فلنستمع للرسول صلى الله عليه وسلم يَكشف عن صُوَرٍ يُعذِّب الله فيها أولئك الذين ضيّعوا الزكاة. ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم. بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ. سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)). وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليه وسَلم: ((مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لاَ يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلاَّ أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ، وَجَبِينُهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لاَ يُؤَدِّي زَكَاتَهَا، إِلاَّ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ، تَسْتَنُّ عَلَيْهِ، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولاَهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ غَنَمٍ، لاَ يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلاَّ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ فَتَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلاَ جَلْحَاءُ، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولاَهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ)). أيّها المسلمون. قَدْ عَلِمْتُمْ مَا لِلزَّكَاةِ مِنْ آثَارٍ حَسَنَةٍ عَلَى الأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ، وإنَّه يجب الحِرْصَ عَلَى صَرْفِ الزَّكَاةِ فِي مَوَاضِعِهَا المَشْرُوعَةِ فَرِيضَةٌ يَجِبُ مُرَاعَاتُهَا عِنْدَ إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ، إِبْرَاءً لِلذِّمَّةِ عِنْدَ اللهِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ في سورة التوبة: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)).

فَقَدْ حَصَرَتْ هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ مَصَارِفَ الزَّكَاةِ فِي ثَمَانِيَةٍ، فَلا يَتَعَدَّى الْمُزَكِّي فِي زَكَاتِهِ فَيُعْطِيَهَا غَيْرَ مَنْ حَدَّدَهُ اللهُ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ صلى الله عليه وسلم كما في مسند الربيع بن حبيب. عن عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا صَلاةَ لِمَانِعِ الزَّكَاةِ، قَالَهَا ثَلاثًا، وَالْمُتَعَدِّي فِيهَا كَمَانِعِهَا)). قَالَ الرَّبِيعُ: الْمُتَعَدِّي فِيهَا: هُوَ الَّذِي يَدْفَعُهَا لِغَيْرِ أَهْلِهَا، أَيْ حُكْمُ مَنْ تَعَدَّى فِي الزَّكَاةِ فَصَرَفَهَا فِي غَيْرِ مَصَارِفِهَا كَحُكْمِ مَنْ مَنَعَهَا فَأَبَى إِخْرَاجَهَا. فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ. وَاحْرِصُوا عَلَى أَدَاءِ هَذَا الرُّكْنِ العَظِيمِ عَلَى أَكْمَلِ الوُجُوهِ وَأَتَمِّهَا، وَأَحْسَنِ الصُّوَرِ وَأَوْفَاهَا. ((وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)). وَ((سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)). ((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)). اللهم اجعلنا من ((الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ)). اللَّهُمَّ اجعَلْنَا مِمَّنْ قلْتَ فيهِمْ: ((وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ)). اللَّهُمَّ إِنَّا نسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى. وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى، اللهمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتحَوُّلِ عافِيَتِكَ، وفُجاءَةِ نِقْمَتِكَ، وجَمِيعِ سَخَطِكَ، اللهم اجعل الدنيا في أيدينا لا في قلوبنا. ولا تسلبنا من بعد العطاء. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ